

الأمثال في القرآن الكريم

(212) فقد وصف الظمآن بصفات عديدة: الـأولى: حسان السراب ماءً ، كما قال سبحانه: (كـسراب بقيعة يحسه الظمآن ماء). الثانية: إذا وصل إلى السراب لم يجده شيئاً نافعاً ، كما قال سبحانه (حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وإنّما خصّ الظمآن به مع أنّ السراب يتراءى ماء لكلّ راءٍ ، لأنّ المقصود هو مجيء الرائي إلى السراب، ولا يجيئه إلاّ الظمآن ليرتوي ويرفع عطشه. الثالثة: عند ما يشرف على السراب لا يجد فيه ماءً ، ولكن يجد ا [] سبحانه عنده، كما قال سبحانه: (وَوَجَدَ ا [] عنده). وهذا خبر عن الظمآن، ولكن المقصود منه في هذه الجملة هو الكافر، والمعنى وجد أمر ا [] ووجد جزاء ا [] ، وذلك عند حلول أجله وإشرافه على الآخرة. فالكافر يتصور أنّ ما يقدم من قرابين وأذكار سوف ينفعه عند موته وبعده، وسوف تقوم الآلهة بالشفاعة له، ولكن يتجلّس له خلاف ذلك وانّ الـامر أمر ا [] لا أمر غيره فلا يجدون أثراً من ألوهية آلهتهم. فعند ذلك يجدون جزاء أعمالهم، كما يقول سبحانه: (فَوَوِّضْنَاهُمْ ا [] حسابهم). ثمّ إنّ سبحانه يصف نفسه بقوله: (وَأَنتَ ا [] سريع الحساب). وبذلك تبين أنّ الآية المباركة لبيان حال الظمآن الحقيقي إلى قوله: (لم يجده شيئاً) ، كما أنّها من قوله (ووجد...) يرجع إلى الظمآن لكن بالمعنى المجازي وهو الكافر.